أساسيات تربية الإنسان في موعظة لقمان الحكيم

دكتور / فيصل الراوي طايع *

مقدمة :

حفل سوق الثقافة العالمية من القديم بعديد من الآراء والنظريات التربوية التي اهتمت بصيانة الإنسان وتربيته ، والتي منها النظريات المثالية والواقعية والوجودية والإشتراكية والبرجماسية وغيرها ، ورغم ملاءمة كل نظرية منها لظروف واقعها الي حد ما ، إلا أنها جميعاً تقف عاجزة أمام تحديات تربية القرن الجديد (٤/٧**) كما أنها لا يمكن أن تكون عامة وشاملة لكل زمان ومكان .

ولقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين ظهور كثير من النماذج التعليمية في العديد من الدول المتقدمة والنامية ، منها المدرسة الشاملة ، والتعليم البوليتكنيكي ، والتعليم الأساسي ، وهذه الأنواع من التعليم تحاول الوصول الي الكمال والشمول والتوازن بين الدراسات النظرية والدراسات التطبيقية والعلم والعمل .

وفي دراسة سابقة للباحث (٢٠-) حول التعليم الأساسي اتضح أن مفهوم التعليم الأساسي أو التربية الأساسية هي إعداد النشء للمواطنة بإمدادهم بأساسيات المواطنة الواعية المنتجة خلال سني التعليم الأولي ، من قيم دينية وسلوكية ووطنية ومعارف واتجاهات ونواحي عملية وثقافية ومهنية ، تلك التي يحتاج اليها الفرد في بيئته زراعية كانت أم صناعية أم حضارية أم صحراوية .

كما ترى اليونسكو أن التربية الأساسية هي الحد الأدني أو المقدار الذي لا يمكن الاكتفاء بأقل منه (١٢/٨) ، وأن جميع أنواع النشاط الإنساني تصلح لأن تكون موضوعات للتربية الأساسية ، ومع اختلافها باختلاف المجتمعات ، إلا أنها يجب أن تتضمن القدرة علي التفكير والتعبير ، والدربة المهنية ، والخبرة المنزلية ، والتعبير الذاتي في الفنون والأشغال اليدوية والتربية الصحية للفرد والجماعة ، ومعرفة البيئة الطبيعية ، والرقي الروحي والأخلاقي والإيمان بالمثل العليا (١٣/٨-١٤) .

---

* أستاذ مساعد أصول التربية بكلية التربية بسوهاج ، جامعة أسيوط .

** الرقم الأول يشير إلي رقم المصدر في قائمة المراجع والثاني إلي رقم الصفحة.

هذه الأفكار والآراء النابعة من الفلاسفة والمفكرين أو من اليونسكو، أثرت علي الفكر التربوي في الدول الإسلامية ، وحدث لقاء بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي .

ومنذ ذلك اللقاء بين الغرب المتقدم والشرق الإسلامي المتخلف ، يعيش العالم الإسلامي حياة تقوم علي الإزدواج في التفكير وفي السلوك علي السواء ، فهو يحاول أن يعيش حياة الغرب المتقدم ، وفي الوقت ذاته يحاول أن يتمسك بإسلامه كما توارثه عن آبائه وأجداده ، دون أن يبذل علماؤه جهدا مؤثراً في التوفيق بين المطلبين (٩/٩) . .

وسواء أكان الإنسان في أصل فطرته خيرا أم شريراً فالذي لا ريب فيه ولا شك عند الباحث المنصف هو أن الإنسان في غياب الدين الحق ، تضطرب أمور حياته ، وتتفاوت فيها الموازين والمقاييس الي حد قد يصل الي التناقض (/٣٠).

وعندما تكون العناصر المطلوبة للشخصية هي عناصر طيبة تلتقي جميعها عند نقطة ارتكاز واحدة هي الفضائل التي يمكن تمييزها بأنها كل فعل فعلته فأرضيت فيه ربك ، وأطمأن اليه قلبك ، وأستراح له ضميرك ، ونلت به حب الناس (١٤/١٠) ، بهذا يمكن إعداد الشخصية الإنسانية الخيرة الصالحة .

لذلك ينبغي أن يكون الإسلام هو المصدر الأساسي الذي يستمد منه المجتمع الإسلامي فلسفة تربيته وأهدافها وأسس التخطيط لمستقبلها وأسس مناهجها وطرق تدريسها ووسائلها وأساليب إدارتها ونظمها (٥/١١).

أن أسس الاسلام في التربية والتعليم يمكن أن تفتح الطريق لكل أساس صحيح وثابت لبناء تربوي قويم يقوم علي الإيمان الخالص والعمل الصالح والتواصي بالحق والسعي وراء الحقيقة وتحري العلم والمعرفة ونشرها بين الناس والتواصي بالصبر (٢١٢/١٢-٢١٣).

ويعد القرآن الكريم أعظم مدرسة إلهية وأفضل مقرر علمي ومنهج تعليمي وآداب في السلوك لتنشئة جيل المستقبل ، ولقد جعل المسلمون القرآن حجتهم ومرجعهم ، ولهذا السبب الزموا تعليمه ومعرفته ، والفقهاء يعتبرون القرآن الأصل الأول من أصول الدين ويعتبرون السنة مكملة للكتاب (٩٥/١٢).

وجاءت نظرية التربية في القرآن بناء علي فهم حكيم لمتطلبات الطبيعة البشرية ، ونظرت إلي الإنسان نظرة كلية في إطار المجتمع الذي يعيش فيه وفي إطار مقدرة الإنسان علي إتباع الخير (١٦٥/١٤) .

وفي هذا البحث يتجه الباحث الي القرآن الكريم لاستخلاص عناصر التربية الأساسية للأطفال والشباب من موعظة القرآن الحكيم ، كما وردت في القرآن الكريم ،

والتي تظهر من خلال ما أوصي به لقمان ابنه علي أساس " إدخال عقيدة قوية راسخة في قلبه وعقله أولاً ، بحيث يؤمن بها ويتفاعل معها ، ذلك أن العقيدة قوة محركة وموجهة في الوقت نفسه ، وهي طاقة قوية لا تنفذ ، تجبره علي السير في طريق معين دون الطرق الأخري ، (١٥/١٠٠) .

فما هي عناصر هذه التربية الأساسية الإسلامية التي وردت في موعظة لقمان الحكيم لابنه ؟

مشكلة البحث :

تتضمن موعظة لقمان أساسيات في تربية الإنسان وأسرار قيادته والتحكم في سيرته ، فمالم يصل الناس الي سر الشئ لا يعتبرون أنهم عرفوا حقيقته ، وبدون الحقيقة لا يمكن الوصول الي الهدف ، لهذا فبالرغم من تقدم الدراسات التربوية في كثير من جوانبها لم يصل الناس الي حكمة التربية الأساسية ، أو أساسيات تربية الإنسان تربية أساسية في حال غياب الوعي بالتصوير الإلهي لهذه الأساسيات (١٥/٩٩) .

لذا يحاول البحث الحالي أن يفتش عن تربية الإنسان ، والعناصر التي تشملها التربية الأساسية من خلال موعظة لقمان الحكيم لابنه كما وردت في القرآن الكريم .

ويمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الآتي : " ما معالم التربية الأساسية في القرآن الكريم كما تتبدي موعظة لقمان الحكيم ؟

والإجابة عن هذا التساؤل تتطلب الإجابة عن السؤالين الفرعيين الآتيين :

١ – ما أسس التربية في موعظة لقمان الحكيم ؟

٢ – ما عناصر تربية الإنسان التي يمكن اشتقاقها من موعظة لقمان الحكيم ؟

منهج البحث :

سوف يعتمد الباحث علي المنهج التحليلي الاستنتاجي ، وذلك لاستقراء عناصر التربية الأساسية في موعظة لقمان الحكيم بإتباع الخطوات الآتية :

١ – الرجوع الي كتب تفسير القرآن الكريم ، التي يستطيع الباحث الوصول إليها ، للتعرف علي تفسير الآيات القرآنية التي تتضمن موعظة لقمان الحكيم ، وهي الآيات من ١٢ الي ٢٠ في سورة لقمان .

٢ – استنتاج الجوانب التربوية المتضمنة في موعظة لقمان .

٣ – الوصول الي نموذج للتربية الأساسية مشتق من موعظة لقمان الحكيم .

تعريف بلقمان الحكيم :

تختلف الروايات في حقيقة لقمان الحكيم ، وسنذكر بعضاً منها :

قال النحاس : هو لقمان بن باعوراء بن ناحو بن تارح، وقيل لقمان بن عنقاء ، وكان نوبيا من أهل أيلة ، وقال وهب : كان ابن أخت أيوب ، وقال مقاتل : ذكر أنه كان أبن خالة أيوب ، وقال الزمخشري : هو لقمان بن باعوراء أبن أخت أيوب أو ابن خالته (١ . ٩٥).

وقيل : كان من أولاد آزر ، عاش ألف سنة وأدركه داود عليه الصلاة والسلام وأخذ عنه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داود ، فلما بعث قطع الفتوي فقيل له ، فقال ألا أكتفي إذا كفيت (٩٥/١).

وقال سعيد بن المسيب : كان لقمان أسودا من سودان مصر ذا مشافر ، أعطاه الله تعالي الحكمة ومنعه النبوة ، وعلي هذا جمهور أهل التأويل ، أنه كان ولياً ولم يكن نبياً (٩٥/١) .

وعلي هذا اختلف أهل التأويل ، فمن قائل أنه كان نبياً ، ومن قائل أنه كان عبداً صالحاً من غير نبوة ، ويقال أنه كان حبشياً ويقال أنه كان نوبياً ، وأياً كان لقمان فقد قرر القران أنه رجل أتاه الله الحكمة (٢٧٨٧/٢) .

وروي من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : ولم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبدا كثير التفكير ، حسن اليقين ، أحب الله تعالي فأحبه ، فمن عليه بالحكمة ، وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق ، فقال رب أن خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء ، وإن عزمت علي فسمعا وطاعة فأنك ستعصمني " ، ذكره ابن عطية (٥٩/١-٦٠).

وهو حكيم زاهد في الدنيا غير مكترث بها ولا ملتفت اليها ، أوصي ابنه بما يأبي المحاربة ويقتضي الصبر والمسالمة (٦٠/٣) .

وذكر أن : اسم ابنه ثاران ، وقيل شكم ، وقيل أنعم ، وأن ابنه وامرأته كانا كافرين فمازال يعظهما حتي أسلما (٦٢/١) .

وأن لقمان كان شاكراً في نفسه وواعظاً لغيره ، وهذا يشير إلي علو مرتبة الإنسان بأن يكون كاملاً في نفسه ومكملاً لغيره (١٤٦/٤) كما ذكره القرآن بأنه رجل أتاه الله الحكمة .

أسس التربية في موعظة لقمان الحكيم :

من خلال الرجوع الي تفسير الآيات القرآنية التي تناولت موعظة لقمان لابنه ، يتضح أنها تتضمن أسسا هامة للتربية في النقاط الآتية :

١ – عقيدة التوحيد :

تأتي قضية التوحيد في صورة موعظة من لقمان الحكيم لابنه ، فما يريد الوالد لولده الا الخير ، وما يكون الوالد لولده الا ناصحا ، هذا لقمان الحكيم ينهي ابنه عن الشرك ، ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم (٢٧٨٨/٢) .

يلاحظ أنه بدأ في الوعظ بالأهم وهو المنع من الشرك ، وقال : (أن الشرك لظلم عظيم) ، أما أنه ظلم فلأنه وضع للنفس الشريف المكرم بقوله تعالي : (ولقد كرمنا بني آدم) في عبادة الخسيس ، أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها ، وهو غير وجه الله وسبيله (١٦٤/٤).

وأما قوله تعالي : (أن الشرك لظلم عظيم) فقيل : أنه كلام لقمان ، وقيل : هو خبر من الله تعالي منقطعاً من كلام لقمان متصلاً به في تأكيد المعني ، ويؤيد هذا الحديث المأثور أنه لما نزل قوله تعالي : (الذين أمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أشفق أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالوا : أينا لم يظلم ، فأنزل الله تعالي : (أن الشرك لظلم عظيم) فسكن إشفاقهم ، وإنما يسكن إشفاقهم بأن يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد (٦٢/١) .

وشرك الإنسان بالله ضربان – أحدهما :إثبات شريك لله وذلك أعظم الشرك ، وأبعد أنواع الضلال ، كما قال تعالي : (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً) ، ومن مات علي هذا الشرك حرم الله عليه الجنة ، كما قال تعالي : (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) .

والثاني : هو مراعاة غير الله تعالي معه في بعض الأمور ، وهو الرياء والنفاق في الأعمال ، وهو المعني بقوله تعالي : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٨٢/٣) .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : " أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه برئ ، هو الذي أشرك " ، ومن هذا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " الشرك

في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل علي الصفا " (٨٢/٣) .

وإنما كان الشرك ظلما عظيما لأن فيه تسوية بين المخلوق الذي لا نفع له وبين الخالق الذي منه كل جود ونفع وخير ، وفيه تحقير النفس الإنسانية الشريفة بأن تخضع وتذل لمخلوق منحتها صنعته بيدها من حجر أو شجر ولا يملك نفعاً ولا ضررا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا" (٨٣/٣) .

والإيمان بالله وبكتبه ورسله قد وصل اليه الإنسان العاقل بعقله وبفطرته ، فقد شكر لقمان ربه ووحده وعظمه واتبع هداه ، ووعظ ابنه بألا يشرك بالله شيئاً (٨٤/٣) .

وقد وصل لقمان الحكيم الي كل ذلك بالحكمة واستعمال العقل ، وقبول الأدلة فليس الاعتراف بالخالق وتفرده بالعبادة مما يتوقف علي النبوات بل هو ما يصل اليه العقل وتدركه الفطرة (٨٤/٣) .

وقضية الإيمان بالله ووحدانيته - كما تظهر - هي قضية عقلية فطرية توصل اليها لقمان الحكيم بعقله وبحكمته ووعظ بها ابنه .

أن الآثار التربوية لعقيدة الإيمان بوحدانية الله تظهر في تنظيم حياة الإنسان النفسية ، وتوحد نوازعه وتفكيره وأهدافه " تجعل كل عواطفه وسلوكه وعاداته قوي متضافة ، متعاونة ترمي كلها الي تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده ، والشعور بألوهيته وحاكميته ورحمته وعلمه ، لما في النفوس ، وقدرته ، وسائر صفاته الأخري .

ولا تكون السعادة للنفس البشرية ولا استقامة لها ولا انضباط ، الا اذا ارتبط كل جانب من جوانبها بما يناسبه من معاني الألوهية ، لهذا يجب علي المربي المسلم أن يربط كل جوانب التربية بتوحيد الله وبصفات الألوهية .

٢ - الشكر لله وللوالدين :

في ظل نصيحة الأب لابنه يعرض للعلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق ، ويصور هذه العلاقة في صورة موحية فيها عطف ورقة ، ومع هذا فان رابطة العقيدة مقدمة علي تلك العلاقة الوثيقة (٢٧٨٨/٢) .

وفي ظل تلك الصورة الحانية يوجهه الي شكر الله المنعم الأول ، وشكر الوالدين المنعمين التاليين ، ويرتب الواجبات ، فيجئ شكر الله أولا ، ويتلوه شكر الوالدين (٢٧٨٨/٢) .

(ووصينا الانسان بوالديه) قيل : أن هذا مما أوصي لقمان ابنه وأخبر الله به عنه،

أي قال لقمان لابنه : لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والديك ، فان الله وصي بهما في طاعتهما، مما لا يكون شركا ومعصية لله تعالي (٦٣/١) .

وجملة هذه الوصية أن طاعة الأبوين لا تراعي في ركوب كبيرة ، ولا في ترك فريضة علي الأعيان ، وتلزم طاعتهما في المباحات (٦٤/١) .

وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم ، وفي وصايا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والوليد في حاجة الي الوصية المكررة ليلتفت الي الجيل المضحي المدبر المولي الذاهب في أدبار الحياة ، بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه الي المستقبل .

وفي القرآن الكرم ترتبط الوصية بالوالدين بالوصية بالوحدانية لله أو بعباده الله سبحانه وتعالي ، فمثلا : قوله تعالي :

(واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا) (البقرة – أية ٨٣) (وقضي ربك ألا تعبدوا الا أياه وبالوالدين احسانا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) (الاسراء – أية ٢٣) ، (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا) (الأنعام – أية ١٥١) .

ومهما بذل الوالدان من جهد ومن جهاد ومن مغالبة ومن اقناع ليغرياه أن يشرك بالله ، فهو مأمور بعدم الطاعة والأمر بعدم الطاعة لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة (٢٧٨٨/٢).

وهنا يطلب الحكيم من أبنه أن يشكر لوالديه بعد الشكر لله والايمان به ، وهذا يشير الي أن أول الأعمال التي ينبغي أن يتعلمها الطفل بعد الايمان بالله والشكر له هو الشكر للوالدين والاعتراف بحقهما .

٣ – التوجيه الي قدرة الله :

(يا بني أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) (لقمان – أية ١٦).

وفي هذه الأية توضيح لقول لقمان لابنه بقصد اعلامه بمدي قدرة الله تعالي ، حيث قيل أن الحس لا يدرك للخردلة ثقلاً ، اذ لا ترجح ميزانا ، اي لو كان للانسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتي يسوقها الي من هي رزقه (٦٦/١)

وهذا توجيه للابن بألا ينشغل بالرزق عن أداء الفرائض وعن اتباع سبيل من أناب اليه .

ويعرض لقمان هذه القضية للدلالة علي قدرة الله سبحانه وتعالي في المجال الكوني الفسيح ، وفي صورة مؤثرة يرتعش لها الوجدان ، وهو يطالع علم الله الشامل الهائل الدقيق اللطيف (٢/٢٧٨٩).

ويتم ذلك العرض في تعبير مصور ، وهذا أفضل طرق القرآن الجميلة الأداء العميقة الايقاع فيدرك من التصور حبة من خردل صغيرة ضائعة لا وزن لها ولا قيمة في صخرة صلبة لا تظهر ، ولا يتوصل اليها أو تكون في السموات ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير نو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة ، أو في الأرض ضائعة في ثراها وحصاها لا تبين فعلم الله يلاحقها وقدرته لا تفلتها (٢/٢٧٨٩).

وقوله حبة خردل اشارة الي الصغر ، والصخرة اشارة الي الحجاب ، والسموات اشارة الي البعد فأنها أبعد الأبعاد ، والأرض اشارة الي الظلمات فأن جوف الأرض أظلم الأماكن ، وقوله "يأت بها الله " أبلغ من " يعلمها الله " لأن من يظهر له الشئ ولا يقدر علي اظهاره لغيره ، يكون حال في العلم ، دون حال من يظهر له الشئ ويظهره لغيره ، وهذا يعني أن الله يظهرها للأشهاد (٤/١٤٨).

ويظل الخيال يلاحق تلك الحبة من الخردل في مكامنها تلك العميقة الوسيعة ، ويتجلي علم الله الذي يتابعها ، فهنا يخشع القلب وينيب الي اللطيف الخبير بخفايا الغيوب، وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن اقرارها في القلب ، بهذا الأسلوب العجيب (٢/٢٧٨٩) .

ويراد من ذلك التشبيه البليغ هو : أن الحسنة والسيئة ان كانت في الصغر مثل حبة خردل وتكون مع ذلك الصغر في موضع حريز كالصخرة لا تخفي علي الله (٤/١٤٧).

وقيل : أن المعني أراد الأعمال والمعاصي والطاعات ، أي لا تفوت الانسان المقدر وقوعها منه ، وبهذا المعني يتحصل في الموعظة الترجيه والتخويف (١/٦٧).

وفي هذا المعني قول النبي صلي الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود : "لا تكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك " وقد نطقت هذه الآية بأن الله تعالي قد أحاط بكل شئ علما ، وأحصي كل شئ عدداً ، سبحانه لا شريك له (١/٦٦).

وهذه الأية الكريمة توضع علي لسان لقمان الحكيم سعة علم الله سبحانه وتعالي وشمول قدرته ، وهذا بعد وصفه بالوحدانية والتفرد بالخلق والعبادة ، وهذا ما أراد لقمان

الحكيم أن يعظ به أبنه أثناء مراحل تربيته .

يدرك الانسان من معرفته لقدرة الله أن كل ما في الكون مما نري ومما لا نري ملك لله ، وكل كائن ، صغيراً كان أو كبيراً يسبح بحمده ويشهد بعظمته ، وهذا يؤكد عند الانسان التسبيح لله بحمده والشهادة بعظمته ، لذلك يتسلح الانسان بالطمأنينة والرجاء مع السعي وعدم التواكل ، لذلك يبتعد الانسان عن اليأس أو الانتماء الي غير الله أو الولاء لغيره .

ويبتعد الانسان عن الهروب من الحياة بالانتحار ، وعن الانحراف بتعاطي المخدرات والمسكرات ، وذلك لأيمانه بأن الأمر كله أوله وآخره لله وحده .

٤ - العبادة :

الخطوة التالية هي التوجه الي الله بالصلاة ، والتوجه الي الناس بالدعوة اليه تعالي ، والصبر علي تكاليف الدعوة ومتاعبها التي لابد أن تكون ، وهذا طريق العقيدة المرسوم ، توحيد الله ، وشعور برقابته وتطلع الي ما عنده ، وثقة في عدله ، وخشية من عقابه ، ثم انتقال الي دعوة الناس واصلاحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر (٢٧٠٩٠/٢) .

والأمر بالصلاة حيث هي العبادة الخالصة لوجه الله تعالي ، وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير ان هيئتها اختلفت (١٤٨/٤) ، وروي عن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه كان كلما دخل عليه وقت الصلاة أصفر مرة وأحمر أخري ، فقيل له في ذلك : فقال أتتني الأمانة التي عرضت علي السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملتها ولا أدري أأسئ فيها أم أحسن (٩٦/٥).

وبعد الأمر بالصلاة أراد لقمان من ابنه أن يتمثل المكارم في نفسه ، ويزدجر عن المنكر ، وهنا تتحقق الطاعات والفضائل أجمع ، ولقد أحسن من قال :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

وقال المرحوم المراغي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثر من أثار حب الفضيلة وأساس من أسس صلاح المجتمع الانساني ، وهو يوقظ الشعور وينبه الضمير ويخيف المقدم علي المنكر ، واذا تضامن الناس في ذلك - كما هو الواجب شرعا - ووجد تضامن الناس علي الفضيلة فلا تضيع بينهم ، ووجد تضامنهم علي استنكار الرزيلة فلا توجد بينهم (٩٢/٣) .

وقد روي عبدالله بن المبارك رحمة الله قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

" أن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فأخذ كل واحد منهم موضعا ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال هو مكاني أصنع فيه ما شئت ، فلم يأخذوا علي يديه فهلك وهلكوا " (١٠١/٥).

أوجب الله الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ليكون الأمر بالمعروف تأكيداً لأوامره ، والنهي عن المنكر تأييداً لزواجره.

(وأصبر علي ما أصابك) قد يقتضي الحض علي تغيير المنكر أن ينالك ضرر فهو اشعار بأن المغير يؤدي أحيانا ، وهذا القدر علي جهة الندب والقوة في ذات الله ، وأما علي اللزوم فلا (٦٨/١).

وهذا يعني أن من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يؤذي فأمره بالصبر عليه.

(وان ذلك من عزم الأمور) ان من الأمور الواجبة المعزومة أي المقطوعة ، ويكون المصدر بمعني المفعول (١٤٩/٤) وقال ابن عباس : من حقيقة الايمان الصبر علي المكاره ، وقيل أن اقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور ، أي مما عزمه الله وأمر به ، قال ابن جريج : ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة (٦٩١/١).

وبعد أن طلب لقمان من ابنه أن يكون علي صلة بالله تعالي بإقام الصلاة وطلب اليه أن يكون مكملا للناس ، طلب منه أن يتحلي بالأخلاق الفاضلة ، واختار له منها مثلا هو أكمل أمثلتها وهو الصبر علي المصيبة وعلي ما يناله من أذي سواء أكان ذلك في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أم كان في غير ذلك ، والصبر علي المصائب يبقي للعقل نوره ، ويبقي للشخص وقاره ، والصبر في الحرب والشجاعة ، والصبر علي القيام بأوامر الله طاعة ، والصبر علي انفاق المال كرم ، وقد جعل الله ثواب الصابرين من بين الأعمال الصالحة بغير حد ولا حساب فقال تعالي (وانما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) (٩٣/٢).

يظهر من ذلك أن لقمان الحكيم وهو يربي ابنه يوجهه الي عبادة الله سبحانه وتعالي وذلك باقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر علي ما يصيبه في طريق الدعوة الي الله ، وأن هذا يعد من عزم الأمور ، بذلك تكون مكارم الأخلاق .

تربي العبادة في الاسلام الفرد المسلم علي الوعي الفكري الدائم ، وهذا يجعل الانسان المسلم انسانا منطقيا واعيا في كل أمور حياته ، ومنظماً لا يقوم بعمل الا بالتخطيط والتفكير وأن يكون في يقظة دائمة .

كذلك تربي العبادة في الانسان العزة والكرامة المستمرة من الاعتزاز بالله وتكبيره وتعظيمه ، كما تربي العبادة في الفرد المسلم قدرا من الأخلاق الانسانية المطلقة الغير مرتبطة بزمان أو مكان ، كذلك تربط العبادة الانسان بالجماعة المسلمة ارتباطاً واعيا منظما ، وقائما علي الصدق والثقة .

٥ – الأداب الاجتماعية :

(ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور وأقصد في مشيك وأغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) (لقمان – آية ١٨–١٩) .

لما أمر لقمان ابنه بأن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره ، كان يخشي بعدها من أمرين أحدهما التكبر علي الغير بسبب كونه مكملا له ، والثاني التبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه (١٤٩/٤) .

وأن الله تعالي قدم الكمال علي التكميل ، حيث قال أقم الصلاة ، ثم قال وأمر بالمعروف ، وفي النهي قدم ما يورثه التكميل علي ما يورثه الكمال ، حيث قال (ولا تصعر خدك) ثم قال (ولا تمش في الأرض مرحا) ، وفي طرف النفي من يكون متكبرا علي غيره يكون متبختراً لأنه يتكبر علي الغير الا عند اعتقاده أنه أكبر منه ، وأما من يكون متبخترا في نفسه فقد لا يتكبر ويتوهم أنه يتواضع للناس فقدم نفي التكبر ثم نفي التبختر ، لأنه لو قدم نفي التبختر للزم منه نفي التكبر فلا يحتاج الي النهي عنه (١٤٩/٤).

وتظهر الآداب الاجتماعية من خلال موعظة لقمان في هذه الآية في الجوانب الآتية :

١ – " ولا تصعر خدك للناس " النهي عن الكبر : الصعر، داء يصيب الابل فيلوي أعناقها ، والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر ، حركة الكبر والإزورار وأمالة الخد للناس في تعال واستكبار (٢٧٩/٢).

وقال الهروي : ولا تصعر أي لا تعرض عنهم تكبرا عليهم ، يقال أصاب البعير صعر وصيد ، أي أصابة داء يلوي منه عنقه ، ثم يقال للمتكبر فيه صعر وصيد (٦٩/١) ، ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا واحتقارا لهم ، وهذا تأويل ابن عباس وجماعة ، وقيل هو أن تلوي شدقك اذ ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره ، فالمعني ، أقبل عليهم متواضعاً مؤنسا مستأنسا ، واذا حدثك أصغرهم فأصغ اليه حتي يكمل حديثه ، وكذلك

كان النبي صلي الله عليه وسلم يفعل (٧٠/١).

وهذه الاشارة الي عدم التكبر والتبختر اشارة الي المكارم التي هي صفة الملائكة ، فان عدم التكبر والتبختر صفتهم (١٥١/٤) .

وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال " أن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " ، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب (٧٢٢/٥) .

ويظهر من هذا أن أولي الآداب الاجتماعية التي أراها لقمان الحكيم لابنه هو عدم الكبر علي الناس ، وأن لا يكون متكبرا عليهم ، وأن يكون متواضعاً لهم .

(ب) (**ولا تمش في الأرض مرحا ..**)! النهي عن المشي في تخايل وتبختر : المشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ونفخة ولا مبالاة بالناس ، وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق ، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات ، يتقفس في شبه الخيلاء (٢٧٩/٢) أي متبخترا متكبراً وهو النشاط والمشي فرحا في غير حاجة ، وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء (٧٠/١).

والنهي عن المشي مرحا لأن الكبر أكثر ما يظهر في أثناء المشي بين الناس ، فهو يظهر في طريقة المشي ، في الثوب الذي يمشي فيه ، كما يظهر في معاملة الماشي للناس وتخاطبه معهم (٤٣٣/٦) .

وهناك أيات قرآنية أخري تنهي عن المشي في تكبر ومرح فمثلا " ولا تمش في الأرض مرحا أنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ؛ (الأسراء – أية ٣٧) ، (وان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) (النساء – ايه ٣٦) ، (والله لا يحب كل مختال فخور) (الحديد – اية ٢٣) .

(وعباد الرحمن الذين يمشون علي الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (الفرقان –اية ٦٣) .

(وأقصد في مشيك). عندما أمره بعدم المشي في الأرض مرحا وعدم ذلك قد يكون بهذه هو الذي يخالفه غاية الاختلاف ، وهو مشي المتماوت الذي يري من نفسه الضعف تزهداً ، فقال " وأقصد في مشيك " أي كن وسطا بين الطرفين المذمومين (١٥٠/٤) .

ومع النهي عن مشية المرح ، بيان للمشية المعتدلة القاصدة ، والقصد هنا من

الاقتصاد وعدم الاسراف ، وعدم اضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال ، المشية القاصدة الي هدف لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر ، انما تمضي لقصدها في بساطة وإنطلاقة (٢/٢٧٩) .

ويلاحظ أن لقمان الحكيم لما نهي ابنه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله فقال " وأقصد في مشيك : أي توسط فيه ، والقصد هو : ما بين الاسراع والبطء ، أي لا تدب دبيب المتماوتين ، ولا تثب وثب الشطار (١/٧١) .

(جـ) غض الصوت (وأغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) : وأغضض من صوتك أي أنقص منه ، أي لا تتكلف رفع صوتك وخذ منه ما تحتاج اليه ، فان الجهد بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي (١/٧١)، والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان الي صدق الحديث وقوته ، وما يزعق أو يغلط في الخطاب إلا سيئ الأدب ، أو شاك في قيمة قوله ، أو قيمة شخصه يحاول اخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق (٢/٢٧٩٠) .

ويرذل القرآن هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب بقوله " أن أنكر الأصوات لصوت الحمير "، فيرسم مشهداً مضحكا يدعو الي الهزء والسخرية ، مع النفور والبشاعة ، لا يكاد نو حس يتصور هذا المشهد المضحك ، ومن وراء التعبير المبدع ثم يحاول شيئا من صوت هذا الحمار (١/٢٧٩٠).

ونلاحظ أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك ، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ، ولو قتل لا يصيح ، وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكر (٤/١٥١) .

وهذه الآية أداب من الله تعالي علي لسان لقمان الحكيم بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا أو بترك الصياح جملة ، وهي للأمر بالغض من الصوت .

هل للأمر بالغض من الصوت مناسبة مع الأمر بالقصد في المشي ؟ نعم سواء علمناها أو لم نعلمها ، ففي كلام الله من الفوائد مالا يحصره حد ، ولا يصيبه عد ، ولا يعلمه أحد ، والذي يظهره وجهان : (٤/١٥٠).

الأول : هو أن الانسان لما كان شريفا ، تكون مطالبه شريفة فيكون فواتها خطرا ، فأقدر الله الانسان علي تحصيلها بالمشي ، فان عجز عن ادراك مقصوده ينادي مطلوبه فيقف له أو يأتيه مشيا اليه ، فإن عجز فإبلاغ كلامه اليه ، أي المشي والصوت مفضيين الي مقصود واحد .

الثاني : هو أن الانسان له ثلاثة أشياء ؛ عمل بالجوارح يشاركه فيه الحيوانات فإنه حركة وسكون ، وقول باللسان ولا يشاركه فيه غيره ، وعزم بالقلب وهو لا يطلع عليه الا الله .

وهكذا تتضح الآداب العامة للداعية الي الله ، فالدعوة الي الخير لا تجيز التعالي علي الناس والتطاول عليهم ، ولو كانت الحكم التي أفهمها الله للقمان ، والتي قص بعضها علينا في القرآن هي التي لها السيادة علي العالم لكان حالهم اليوم أرقي وأكمل وأحسن وأسعد كثيرا مما عليه العالم اليوم ، وذلك لأن هذه الآداب الاجتماعية لها تأثيرها التربوي في توجيه وتهذيب سلوك الأفراد بأداب وأخلاق الاسلام كما تفعل هذه الآداب علي زيادة التآلف والمودة بين الناس ، وتماسك المجتمع .

٦ - الدعوة للتأمل في الكون :

(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (لقمان - ايه ٢٠) .

وفي هذه الآية عرض للدليل الكوني مرتبطا بالناس ومتلبسا بمصالحهم وحياتهم ومعاشهم ومتعلقا بنعم الله عليهم ، نعمه الظاهرة ونعمه الباطنة ، تلك التي يستمتعون بها (٢٧٩٢/٢) .

أي سخر لأجلكم ما في السموات ، فان الشمس والقمر مسخرات بأمر الله وفيها فوائد لعباده ، سخر ما في الأرض لأجل عباده كذلك (١٥٢/٤) .

وقال المحاسبي : الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم العقبي ، وقيل الظاهرة ما يري بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات ، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يرفع الله تعالي عن العبد من الآفات (٧٢/١).

وعلي هذا الوجه يكون الاستدلال بنعمة الآفاق ، وبنعمة الأنفس فقوله (ما في السموات وما في الأرض) اشارة الي النعم الآفاقية ، وقوله (أسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة) يكون اشارة الي النعم الأنفسية (١٥٢/٤) . لأن هذا الكون لا يزال يتجدد في الحس كلما نظر اليه القلب وتدبر أسراره ، وتأمل عجائبه التي لا تنفذ ، ولا يبلغ الانسان في عمره المحدود أن يتقصاها ، وهي تبدو في كل نظرة بلون جديد ، وايقاع جديد (٢٧٩٢/٢) .

وهذه الآية تعد دعوة للانسان للتدبر والتفكر والدراسة في نعم الله سبحانه وتعالي

وهذه هي بداية العلم الحقيقي ، ويأتي هذا بعد تأكيد ما أشار اليه سابقا من الايمان بالله والعبادة ، ثم الآداب الاجتماعية ، وبعدها يكون الانسان جاهزا للعلم ، ذلك العلم الذي يبدو في نعم الله سبحانه وتعالي علي هذا الانسان ، وهذا هو العلم الحقيقي الذي يرسخ في القلب فيصبح نورا وهدي .

ان النظر والتأمل في الكون يربي في الفرد المسلم الارتباط بخالق هذا الكون سبحانه وتعالي ، كما تربي فيه الجدية لأن الكون أقيم علي أساس من الحق وليس لعبا ولهوا ، كما أن تكرار الحوادث الكونية حسب سنن الله هو أساس التفكير العلمي ، وهذا هو المبدأ الذي بنيت عليه جميع القوانين العلمية التي اكتشفها الانسان ، كما يستطيع الانسان أن يدرك القياس الكمي من خلال حدود ومقدار كل شئ في الكون ، حيث أن كل شئ في الكون بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص وله حدود لا يتعداها .

كما أن التأمل في الكون يربي الانسان علي سعة النظر وحب الاطلاع علي أسرار الكون والطموح الي المعرفة ، ومعرفة ما وراء الحس .

٧ - الجدل في الله :

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير)

قيل : يجادل ، يخاصم ، بغير علم أي بغير حجة ومن غير بينة (٧٤/١) وهذه أمور ثلاثة مرتبة وهي : العلم والهدي والكتاب ، والعلم تدخل فيه الأشياء الواضحة اللائحة التي تعلم من غير هداية هاد ، ثم الهدي يدخل فيه الذي يكون في كتاب والذي يكون من الهام روحي (١٥٢/٤) .

والكتاب أي القرآن الكريم هدي لقوم النبي صلي الله عليه وسلم "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين " (البقرة - ايه ٢) وبعد كل الأدلة السابقة فان من يجادل في المنعم ، يبدو منحرف الفطرة ولا يستجيب ، وأنه لا يرتكن في هذا الجدال الي علم ولا يهتدي بهدي ، ولا يستند الي كتاب ، ينير له القضية ويقدم له الدليل (٢٧٩٣/٢) .

وفي هذا توضيح لآداب الجدل ، فلابد أن يكون علي علم وعلي هدي من كتاب وهذا الكتاب المنير هو القرآن الكريم ، وأنها تربي في العالم أن يكون علمه ابتغاء مرضاة الله تعالي ، وأن يعمل علي اظهار الحق منه ، وألا يتعلم العلم ليماري به ، ولا يباهي به ، ولا يرائي به ، وأن يتواضع الناس للعلم والعلماء .

ملامح تربية الإنسان من موعظة لقمان الحكيم :

ان الهدف من التربية الأساسية هو الاهتمام بالجوانب الاجتماعية الانفعالية والجسمية والعقلية للطفل في اطار الايمان بالله الواحد الذي خلق كل شئ ، وأن الانسان خليفة الله علي الأرض ، ووجود تكاليف وواجبات عليه أن يؤديها (٨/١٦) .

كما أن التربية الاسلامية تجعل للمسلم هدفاً رئيسيا واحدا طوال حياته ، وهو التحقق بالعبودية لله وحده ، فيوجه كل طاقاته ونشاطاته نحو ذلك الهدف فيكون ولاؤه لله ، وخوفه من الله ، ورجاؤه في الله ، وكل أخلاقه وأعماله ظاهرها وباطنها مقصودا بها وجه الله وحده ، وكل جوانب حياته موجهة بهدي الله وحده ، " قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له " (٨/١١) .

فان هدف التعبد لله وحده بأن تدور حياة الفرد كلها حول عقيدة قوية بجوانبها المختلفة في كل مجالات الحياة ، وعلي هذا نبغي أن تدور عناصر التربية .

وبعد دراسة موعظة لقمان الحكيم لابنه كما وردت في القرآن الكريم ، يمكن الوصول الي نموذج للتربية الأساية الاسلامية يشمل العناصر الأتية :

أولاً : الايمان بالله :

هذا الايمان الذي يجب أن يكون منه الانطلاق ، وبدونه لا أمل ، فعلي المصلحين أن يبدأوا به ، ويتوكلوا في كل جانب عليه ، ويجعلوه فيصلا في جميع القضايا (٢٦.٦)

ان الايمان بالله هو جوهر عقيدة الألوهية لكل دعوة جاء بها الأنبياء والرسل ، وهي تعني ببساطة أن يعتقد الانسان علي سبيل اليقين والقطع أن لهذا الكون ربا خالقا والها واحدا يعبده ويسبح بحمده كل من في السموات والأرض (٣٥٢.١٤) .

ان الايمان الصحيح بالله تعالي يجب أن يشتمل علي ثلاثة معان أو عناصر أساسية هي (٧٢/١٧) .

(أ) معرفة معني الاله : ذلك المعني الذي أبي المشركون أن ينسبوه الي الله وحده وينفوه عن معبوداتهم الآخري

(ب) اثبات معني الألوهية لله عز وجل .

(جـ) نفي معني الألوهية عن كل كائن سوي الله .

وبعقيدة التوحيد هذه يحرص الاسلام علي تربية الفرد المسلم علي عدم الخضوع

لأي مخلوق ، وعدم الخوف من أي مخلوق وعدم التقرب الي أي مخلوق الا الله وحده سبحانه وتعالي ، فهو الذي يمنح ويمنع ، وهو الذي يعطي ويأخذ وهو الذي يثيب ويعاقب ، وبهذه العقيدة القوية تتغلغل جذور العزة في نفس المؤمن ، فلا ينافق أحدا ، ولا يغش ، ولا يقصر في واجب (٣٥٤/١٤) .

وعلي هذا فان مسئولية التربية الايمانية لدي المربين والآباء والأمهات مسئولية هامة وخطيرة لكونها منبع الفضائل ، ومبعث الكمالات ، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسئولية ولا يتصف بأمانة ، ولا يعرف غاية ، ولا يتحقق من معني الانسانية الفاضلة ، ولا يعمل لمثل أعلي ولا هدف نبيل ، بل يعيش عيشة البهائم (١٤٨/١٨) .

تتضح تلك المعاني من بداية موعظة لقمان الحكيم لأبنه (يا بني لا تشرك بالله) أي لا تتخذ غير الله ، وهذا الايمان بالله وبوحدانيته يرتبط ارتباطا كليا بالعقل الانساني فهي أول عناصر التربية ، وهي تربية العقل علي ادراك الله سبحانه وتعالي ووحدانيته ، والايمان به ، وذلك عن طريق الحكمة والاعداد العقلي للفرد .

فينبغي أن يكون العنصر الأول في التربية الأساسية هو تكوين عقيدة التوحيد لدي الطفل منذ نعومة أظافره ، وهو أن يعرف الايمان بالله ، واستخدام المعطيات التي في المجال الحسي للطفل والتي يدركها ثم التدرج به في مجال المعقولات والادراك ، مع تقدمه في العمر ، علي أن يدور كله في مجال واحد وهو تأكيد الوحدانية لله سبحانه وتعالي .

ثانياً : معرفة قدرة الله :

لابد أن يتبع الايمان بوحدانية الله ، معرفة قدرة الله الهائلة العظيمة ، وأن يعلم الطفل أن كل ما في السموات والأرض ، وما في الظلمات والنور ، سواء كان ذلك شيئا كبيرا أو كان شيئا صغيرا مهما بلغ من الصغر (حبة خردل) هو في علم الله ، والله قادر عليه ، وقادر أن يأتي به .

وهذا ما وجه لقمان الحكيم لأبنه البه بعد توجيهه الي عدم الشرك بالله ، وهو تأكيد معني قدرة الله سبحانه وتعالي في نفس ابنه حتي يدرك أن الله قادر علي كل شئ.

ومن هنا يصبح واجبا علي المدارس الاسلامية أن ترشد تلاميذها الي الايمان بالله وقدرته المعجزة وابداعه الرائع عن طريق التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض ، وذلك في سن الادراك والتمييز (٩٩/١١) . فينبغي أن يركز المربون علي العنصر الثاني في التربية الأساسية ، وهو تعريف الطفل قدرة الله سبحانه وتعالي ، وأن يستخدموا كل

الوسائل والامكانات المتاحة التي تؤكد هذا المعني وفقا لقدرات الطفل وامكاناته .

ثالثا : العبادات :

جعل الاسلام العبادات هي علامة الاتصال الدائم بالمصدر الأكبر وجعل ممارستها في أوقات معينة مرتبطة ببناء الارادة ، واعداد النفس الانسانية للترقي الي الملأ الأعلي (١٤٨/١٢) .

فالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الشعائر التعبدية ، ان هي الا مفاتيح أو محطات يقف عندها السائرون في الطريق فيتزودون بالزاد ، وكل ما يقع فيه من نسك أو عمل أو فكر أو شعور ، فهو كذلك عبادة مادامت وجهته الي الله ، وما دام قد شهد حقا - لا باللسان - أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأقام حياته كلها وواقعه كله علي هذا الأساس (٢٣/١٩) .حتي يتعلم الولد أحكام هذه العبادات منذ نشأته ، ويعتاد أداءها والقيام بها منذ نعومة أظافره ، وحتي يتربي كذلك علي طاعة الله ، والقيام بحقه والشكر له ، والاتجاه اليه والثقة به ، والاعتماد عليه والتسليم لجنابة فيما ينوب ويروع ، حتي يجد في هذه العبادات أيضا الطهر لروحه والصحة لجسمه والتهذيب لخلقه والاصلاح لأقواله وأفعاله (١٤٩/١٨) .

وللعبادة الآثار التربوية التالية (٥١/١٧-٥٦) :

١ - العبادات في الاسلام تعلمنا الوعي الفكري الدائم .

٢ - العبادات تربي المسلم علي الارتباط بالجماعة المسلمة .

٣ - العبادات تربي النفس المسلمة علي العزة والكرامة وأباء الضيم والاعتزاز بالله

٤ - العبادات تربي عند المسلم قدرا من الفضائل الثابتة المطلقة .

٥ - العبادات تزود الانسان دائما بشحنات متتالية من القوة المستمدة من قوة الله والثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله .

٦ - تربية المسلم بالعبادة تجدد نفسه باستمرار بالتوبة التي تزيل من قلبه وتصوراته ما قد يعلق بها من أدناس .

وتظهر العبادة واضحة في موعظة لقمان الحكيم عندما يعظ ابنه بأن يقيم الصلاة ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويصبر علي ما أصابه ، ويركز علي الصلاة لما للصلاة من مكانة عالية بين العبادات ، وحيث أنها أسهل فعلا وأيسر عملا ، ومشتملة علي خضوع لله وابتهال اليه ، فالخضوع لله رهبة منه ، والابتهال اليه رغبة فيه .

يستفيد منها أساتذة الجامعة بالمستوي الملائم لم يتعد أربعة مصادر وهي : المهام الوظيفية الرسمية ، والمناهج والكتب الدراسية ، والمكتبة ، والنشرات الدورية الرسمية . وهي تقريبا نفس المصادر الأكثر توفرا ، (كما بينت نتائج الإجابة عن التساؤل الأول) وهذه النتيجة تكشف الي حد كبير عن محدودية المصادر الممكنة للنمو المهني للأستاذ المعار مما يجعل من سنوات الإعارة خارج جامعته الأم سنوات هدر الإمكانات النماء المهني تعليميا وعلميا .

وتبقي مساعي ومبادرات النمو المهني للأستاذ المعار – في حالة سعيه لذلك – مجرد أماني أكثر منها مبادرات جادة بحكم بعده عن دائرة اتخاذ القرار أو تحديد توجهات المؤسسة التي يعمل بها .

فنظرا للطبيعة الخاصة لجامعات الخليج العربي – وغيرهما من المؤسسات التعليمية والعلمية الآخري – من حيث اعتمادها علي العناصر العربية الوافدة في الكوادر التعليمية بشكل كبير ، وعلي العناصر المواطنة في الكوادر الإدارية ، يحتل نوع العقد وطبيعة العمل الإداري أهمية خاصة في علاقتها بالإنتاجية العلمية (٣٢) . ولذلك تبقي الافادة من هذه المصادر محكومة بالاعتبارات الوظيفية الروتينية التي لا تتطلب مبادرات من قبل الأستاذ المعار ، أو تتطلب إجراءات إدارية وتنظيمية غير عادية .

فالمهام الوظيفية الرسمية – تدريسا ، بحثا ، إشرافا ، استشارة – حتمية ، بحكم أهداف المؤسسة التعليمية والعلمية وبنيتها ووظائفها . والمناهج والكتب الدراسية حتمية طالما أن هناك وظائف تدريسية ، والمكتبة تمثل الحد الأدني اللازم لأية مؤسسة تعليمية حتي علي مستوي المدرسة ، والنشرات الدورية الرسمية مثل الحد الأدني الحتمي من إجراءات إدارة المؤسسة وتنظيمها وتسييرها .. فهل يمكن للأستاذ المعار أن يكون في حل من التعاون مع هذه المصادر ؟!

– وفي معرض الإجابة عن التساؤل الرابع المتعلق باختلاف مدي الإفادة من هذه المصادر باختلاف مواقع العمل ، فقد أظهرت النتائج فروقا في درجة الإفادة بين فئات العينة الثلاث في ستة مصادر علي الأقل . وتفسير هذه النتيجة يسير في نفس السياق والتوجه الذي فسرت به نتائج الإجابة عن التساؤل الثاني . فطالما اختلفت إمكانية توفر هذه المصادر من مؤسسة لآخري ، فيترتب عليها بالضرورة – في أغلب الأحيان – إختلاف درجة الإفادة بين الأساتذة أنفسهم . يضاف الي ذلك الاختلاف النسبي في المهام الوظيفية الرسمية ، والاختلاف في درجات الرضا المهني ، والدافعية للإنجاز والعمل ، والاختلاف بين الأساتذة في الوقت المتاح للإفادة من هذه المصادر وغيرها . وقد

والكبر أسوأ ما يصيب الانسان من أمراض القلب ، فما من خلق من الأخلاق المذمومة الا ونجد صاحب الكبر متصفا به .

علي هذا الأساس ينبغي أن يعمل المربون علي نزع ما في قلوب الأطفال من كبر ، وتعويدهم وتدريبهم علي التواضع لله وللوالدين وللمعلمين ولاخوانهم وللآخرين .

وطاعة الوالدين والمعلمين وذوي العلم والكبار من المسلمين ، حتي يتأكد هذا المعني في نفوسهم وقلوبهم ووجدانهم ، فلا يصيبهم داء الكبر بعد ذلك .

(جـ) آداب المشي : للمشي في الطريق آداب وواجبات قل ما يهتم بها مع أهميتها ، خلاصة هذه الآداب والواجبات أن المشي يطلب في أثنائه كل ما يطلب من الجالس علي الطريق ، ويزاد عليه التواضع أثناء المشي والتسامح مع من يقابلهم (٤٣٢/٢).

وهكذا يظهر من موعظة لقمان بضرورة الالتزام في المشي (ولا تمش في الأرض مرحا ، وأقصد في مشيك) ، أي لابد أن يكون مشيك محددا ومقتصدا فيه ، تمشي الي ما تريد وتقصد ، فكيف سيستفيد المربون من هذه الموعظة ويضمنوا التربية الأساسية آداب المشي في الطرقات ، وندرب التلاميذ علي هذه الآداب ، ونحاسبهم عليها ، حتي يتخلوا بهذه الآداب !

(د) آداب الحديث : للحديث مع الغير في الاسلام أصول وآداب يطلب مراعاتها حتي يكون المسلم واقفا عند حدود الله تعالي عاملا علي مرضاته .

وللكلام في الاسلام شروط أهمها : (٢٦٦/٥) .

الأول : أن يكون الكلام لداع يدعو اليه ، أما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر .

الثاني : أن يأتي به في موضعه ، ويتوخي به اصابة غرضه . .

الثالث : أن يقصد منه علي قدر حاجته .

الرابع : أن يتميز اللفظ الذي يتكلم به .

وعلي هذا ينبغي أن يكون الكلام علي قدر ما يسمع المستمعين ، وهذا يتضح من قوله تعالي " وأغضض من صوتك " .

ويلاحظ هنا استخدام الوسيلة القوية في التنفير من رفع الصوت بضرب المثل بصوت الحمير ، وهي وسيلة تنفر الانسان من هذا السلوك ، وللتأكيد علي تقبيح الصوت المرتفع.

وهنا لابد أن يستفيد كل مربي من ذلك ، ويدرب تلاميذه أو أطفاله علي آداب الحديث في الاسلام ، وأن يكون الحديث علي قدر الحاجة اليه ، حتي لا يسبب أذي أو

ضررا للآخرين من ارتفاع صوته ، أو من الحديث بدون داعي .

تلك هي الآداب الاجتماعية التي ينبغي أن تركز التربية الأساسية عليها ، والتي تبدأ ببر الوالدين وطاعتهما ، ثم عدم الكبر علي الناس والالتزام بآداب المشي وكذلك آداب الحديث ، وهذه هي سمات الداعية الي الله ، فالدعوة الي الخير لا تجيز التعالي علي الناس والتطاول عليهم .

فمثلا التكبر قد يكون نتيجة شعور المتكبر بأنه يملك مالا يملكه الآخرون ، وهو في النهاية ضعف ، بينما التبختر قد يكون نتيجة شعور المتبختر بالنقص والدونية سواء كان ذلك حقيقة أو توهما وهو كذلك ضعف ، كما أن التكبر يدل علي الجفاء والغلظة وهذا أيضا يتنافي مع الدعوة لأنه ينفر الناس من حول الداعية " ولو كنت فظا غليظ القلب ..."

وكما أن الصعر مرض ، كذلك التكبر مرض وكلاهما من هيئة المصاب به فيجعل منظره غير طبيعي ومدعاة للتقزز وربما الي الهزء والسخرية ، وكذلك الحال بالنسبة للتخايل والتبختر لأن المتخايل والمتبختر يحاول الظهور بغير حقيقته مما يفقده المصداقية مع نفسه ومع الآخرين ، وهذا يتنافي مع الداعية الذي ينبغي أن يتحقق فيه شرط الصدق مع نفسه وغيره .

وكل هذه الصفات تجعل من يتصف بها بعيدا عن نفوس الناس ، بل ربما يكون بغيضا مكروها بينهم . وهذه الصفات التي نهي عنها لقمان ابنه تتنافي مع الشخصية الاسلامية التي ينبغي أن تتحلي بالوقار والهيبة والاعتدال وقوة الشخصية .

خامسا – دراسة الكون :

في هذه المرحلة تنتقل موعظة لقمان الحكيم الي الدعوة الي التفكير في خلق الله سبحانه وتعالي والي النظر الي نعمه سواء في السموات والأرض أو في الانسان النعم الكونية والنعم الأنفسية . وهذه دعوة للانسان بأن يستخدم العقل ، وهنا اتجاه الي استخدام العقل الانساني في الدراسة والعلم .

فدراسة الكون يجب أن يكون هدفها استحضار عظمة الله الخالق المالك للكون الحي القيوم الذي يقوم بكل شئون الكون ونظامه وسيره ودورانه (٧٦/١٧).

وفي هذه المرحلة من التربية لابد أن يدرك الفرد المسلم التناسق بين حاجات الانسان علي الأرض وتركيب هذا الكون ، ولابد أن يدرك أن هذا التنسيق ليس مصادفة ولكن وفقا لارادة الواحد المدبر التي تنسق تركيب هذا الكون الهائل وحاجات البشر علي

هذا الكوكب الصغير (الأرض).

ويدرك أن الله يهيئ للانسان القدرة علي استخدام الكثير من الطاقات في هذا الكون وقواه ومن ذخائره وخبراته ، وهذا هو التسخير المشار اليه في الآيه " ألم تروا أن الله سخر ... " فوجود الانسان ابتداء نعمة من الله وفضل ، وتزويده بطاقاته واستعداداته ومواهبه هذه نعمة من الله (٢/٢٧٩٢) .

ينبغي أن تستخدم المدرسة الأدلة التي تقوم علي سلامة التفكير الفطري أو التعقل الفطري البديهي كوسيلة للاقناع مثل الاستدلال بالصنعة علي الصانع وبالأثر علي المؤثر (١١/١٠) وهذه هي التربية العقلية العلمية لاعداد العقلية العلمية التي تعتمد علي تنمية العقل ، ولكن في ضوء الايمان والعقيدة ، وذلك بالربط الكامل بين التربية العقلية والتربية الاعتقادية .

سادساً - آداب الجدل :

وتعد هذه المرحلة الأخيرة في التربية الاساسية الاسلامية ، وهي مرحلة الجدل في العلم تأتي بعد اعداد العلماء ، وبعد أن يكون الفرد المسلم قد وصل الي درجة دراسة الكون وأدرك ما فيه من نعم سخرها الله لنا .

فقد يجد نفسه في حاجة الي الجدل مع الآخرين ، أو قد تسول له نفسه الجدل في الله المنعم ، أو الجدل في العلم وهنا ينبغي أن يكون للجدل آداب ، فلا يجادل من أجل الظهور علي الناس أو من أجل التباهي بالعلم ، أو من أجل المغالطات العلمية .

ولكن اذا كان لابد من الجدل فينبغي أن تكون له أداب كما تظهر من الأية الكريمة (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير) (لقمان - اية ٢٠) وهي : ١ - العلم ٢ - الهدي ٣ - الكتاب.

أي لابد أن يكون الجدل علي أساس من القوة واليقين بالعلم وأن يكون ذلك علي هدي وأن يكون ذلك الهدي من كتاب منير ، وهذا الكتاب هو القرآن الكريم الذي يعتبر هو الهدي للناس علي مدي الزمان وفي كل الأوقات .

تلك العناصر الست السابقة هي عبارة عن عناصر التربية الأساسية الاسلامية والمشتقة من موعظة لقمان الحكيم والتي يمكن تلخيصها بأنها تبدأ بغرس عقيدة التوحيد في نفس الابن ثم يتبع ذلك بذكر أوصاف الله ويصور عظمته وقدرته وعلمه الدقيق . ومن خلال ذلك يبث في روحه مراقبة الله لأفعاله .. وبعد الانتهاء من تكوين العقيدة بدأ يعلمه

العبادات وفعل الخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر ، ثم ينتقل الي الآداب الاجتماعية فيعلمه طريقة الكلام والمشي ، ثم بعد ذلك ينتقل الي كشف أسرار مخلوقات الله ، وكيف أنه سخرها لعباده وكيف أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأخيرا يحذره من الجدل بغير علم (١٥/١٠٠).

ومن ذلك نجد أن التربية الأساسية الاسلامية تربية حكيمة ، شاملة للشخصية الانسانية وتقوم علي أساس قوي من عقيدة التوحيد ، فهل يستطيع المربون في المجتمعات الاسلامية اتباع هذه التربية في تربية أبنائهم وتلاميذهم ؟

المراجع

١ – عبدالله محمد القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . الجزء الرابع عشر . بيروت : دار احياء التراث العربي . ١٩٨٥م .

٢ – سيد قطب . في ظلال القرآن . المجلد الخامس . ط١ . القاهرة : دار الشروق . ١٩٨١م .

٣ – علي حسن العريض . فتح الرحمن في تفسير سورتي الفاتحة ولقمان . الدمام : دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع . ١٩٨١م .

٤ – الامام الفخر الرازي . التفسير الكبير . الجزء الخامس والعشرون . ط٢ . طهران : دار الكتب العلمية . (د.ت) .

٥ – أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي . أدب الدنيا والدين . ط٤. بيروت : دار الكتب العلمية .١٩٧٨م

٦ – حسن أيوب . السلوك الاجتماعي في الاسلام . ط٤ . الكويت : دار البحوث العلمية . ١٩٨٥م .

٧ – خلف البحيري وسيد الطهطاوي . بعض موجهات تربية الطفل المصري في القرن الحادي والعشرين من منظور السنة النبوية . سوهاج . كلية التربية . ١٩٩٠م .

٨ – اليونيسكو . التربية الأساسية وصفها ومنهجها . باريس : اليونسكو (د.ت) .

٩ – عبد الغني عبود . عقبات في طريق التربية الاسلامية . القاهرة : المعهد العالي للفكر الاسلامي ٢٩–٣١ يوليو ١٩٩٠ .

١٠ – محمد عبدالله السمان : التربية في القرآن . ط٥ القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٧ م .

١١ – سعيد اسماعيل علي . أهداف المدارس الاسلامية . القاهرة : المعهد العالي للفكر الاسلامي ٢٩–٣١ يوليو ١٩٩٠م .

١٢ – أنور الجندي . التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام . بيروت : دار الكتاب اللبناني . ١٩٨٢م .

١٣ – أحمد فؤاد الاهواني . التربية في الرسلام . القاهرة : دار المعارف . ١٩٨٥ .

١٤ – أمينة أحمد حسن . نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٥ .

١٥ – مقداد يلجن . جوانب التربية الرسلامية الأساسية . بيروت : مؤسسة الريحاني للطباعة والنشر ١٩٨٦م .

١٦ – فرماوي محمد فرماوي . برنامج مقترح لرياض الأطفال في ضوء الفكر التربوي الاسلامي . القاهرة : المعهد العالي للفكر الرسلامي ٢٩ – ٣١ يوليو ١٩٩٠م .

١٧ – عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الاسلامية وأساليبها . في البيت والمدرسة والمجتمع . دمشق : دار الفكر ١٩٧٩م .

١٨ – عبدالله ناصح علوان. تربية الأولاد في الاسلام . الجزء الأول ط٣. حلب : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨١م .

١٩ – محمد قطب . منهج التربية الاسلامية الجزء الأول ط٧ بيروت والقاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٣ .

٢٠ – فيصل الراوي . " واقع التعليم الأساسي ودوره في تنمية البيئة المحلية بمحافظة سوهاج ، رسالة ماجستير كلية التربية بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٢م .